

عروض لمجموعة كتب

لفتح الله كولن

1- عرض كتاب "أضواء على الطريق"

د.شيرين فهمي

من الذين قدموا نموذجاً نهضوياً حضارياً إسلامياً - والذي يمكن الإشارة إليه في هذا الصدد - "فتح الله كولن" الذي وضع مبادئ وأسساً لإنهاض الفرد والأمة معاً. فعلى مستوى الفرد، لن تتحقق نهضة الفرد المسلم إلا بإيجاد الإنسان "المخلص" الذي يقف في الصف الأول للبدل والتضحية، ولكنه يقف في الصف الأخير لقطف الثمار؛ وإيجاد الإنسان "السائح" الذي يقرأ القرآن ويتدبر في "أعمق الوحدانية"؛ وإيجاد الإنسان "المنفتح" الذي يفتح صدره للجميع، ويفتح قلبه للحق على الدوام، رافعاً شعار حب الإنسان والإنسانية؛ وإيجاد الإنسان "العاقل" الذي يتخذ التدابير اللازمة والخطط المحكمة قبل الإقدام على الفعل، والذي يحترم الشورى لكونها الشرط الأول لصحة القرارات المتخذة؛ وإيجاد الإنسان "الحسن" لأن الإحسان هو أفضل طريق للقلوب؛ وإيجاد "النفس الميزان" التي تزن الأمور قبل تعاملها مع الغير؛ فما تكرهه لذاتها تكرهه لغيرها؛ وإيجاد الآباء والأمهات الملتزمين بتربية أبنائهم فكراً وعاطفياً وروحياً كما يربونهم مادياً وجسدياً، واصفاً تخلي الآباء والأمهات عن مهمة التربية الفكرية والعاطفية والروحية بالعدو بالأبناء. [1]

وأما على مستوى الأمة، فينادي "كولن" بإيجاد "مثلث المدرسة والمعسكر والتكية"، والارتفاع بأجيال هذا المثلث فوق جميع مثلثات الشيطان؛ مؤمناً بأن الكادر السياسي والإداري الأفضل للأمة أن يتحول البيت إلى مدرسة، والمدرسة إلى معسكر، والمعسكر إلى مجلس. كما ينادي الأمة بلحج رداء المسكنة حتى تحترمها سائر الأمم؛ ويطلب بـ"الوفاق الاجتماعي" المبني على "القلوب الاجتماعية" غير المتعصبة، محذراً من الفرقة التي يعتبرها أكبر خطر أمام إعادة نهضة الأمة، ولاسيما في ظل مجتمع فقير علمياً وفكرياً وروحياً، ومحروم من القيادة والتوجيه، ومُحرَّك الأول المشاعر والأحاسيس. وهو ما يجعل "كولن" ينقد الوحدة الحالية لكونها مبنية فقط على المشاعر والأحاسيس، لا على العقل والفكر والروح. [2]

ويلخص "كولن" أسباب الفرقة في وسط الأمة في التالي: عدم وجود راع للخدمات الدينية، مما يشتت الجهود ويفرقها؛ تعصب بعض الجماعات الإسلامية وضيق أفقها، خاصة فيما يتعلق بقضية التجديد وما تثيره من جدل؛ دور القوى الخارجية في دعم كل ما سبق. هذا بالإضافة إلى انشغال كثير من الجماعات الإسلامية إما بالعداوة مع الآخرين، أو باستعجال قطف الثمار، أو باندفاع زعماء بعض الجماعات نحو الجاه والشهرة. [3]

ودرءاً للفرقة، ينادي "كولن" بترجيح "النقاط المقدسة المشتركة" - وهي وحدة أسس الإيمان والعبادة والوطن والثقافة والماضي والتاريخ والمصير والأعداء - على العوامل الثانوية والجانبية للاختلاف؛ وقد جعل الإسلام الشهادة ضامناً لحقن الدماء. أما العوامل الثانوية والجانبية للاختلاف، فعلى الأمة أن تحولها إلى مصدر غنى، وأن تصهرها في بوتقة أخوية واحدة، حيث تسود روح المشاركة في حمل كنز ثمين وأمانة غالية. وعلى الأمة أن تتذكر في ذلك، كيف كان الصحابة يحبون عشائرتهم وقبائلهم دونما أن يلحقوا الضرر بوحدتهم الاجتماعية؛ فكانوا أشبه بالسيمفونية الجميلة التي بالرغم اختلاف آلاتها تُخرج في النهاية لحناً متناعماً منسجماً. ومن ثم، فإن اختلاف الوسائل فيما بين جماعات الأمة لا يجب أن يكون أبداً سبباً للفرقة والشقاق، ما دامت هذه الوسائل تتحرك في الإطار السنني القرآني. "إن الطرق المؤدية إلى الله تعالى متعددة بتعدد الأنفس والأمزجة بشرط بقائها ضمن دائرة أهل السنة والجماعة". [4] إلا أن "كولن" يستثني المخالفين الذين يوقعون الأمة في خطر، فأولئك لا يجب التسامح معهم على الإطلاق. [5]

ويحذر "كولن" أيضاً من الأمة الفاشلة التي تفقد الود والثقة بين أفرادها، والتي تنظر إلى الخداع باعتباره دليل عقل وذكاء، والتي تنخدع أمام الخادعين الذين ظهرُوا في مسوح الأصدقاء، والتي تبرر الغاية بالوسيلة. [6]

ينادي "كولن" - في سبيل إنحاض الأمة حضارياً - بتصفية النبع الثقافي والفكري الذي يتلقى منه الأطفال التربية والتوجيه؛ فالرباط بين استقامة الأمة وبين صفاء نبع ثقافتها وثيق؛ وإن الأمة التي تفقد ثقافتها أشبه بالأشجار التي تفقد ثمارها. ومن ثم، يحذر من إيداع أطفال الأمة وشبابها في أيدي الأجانب الذين يُعكرون ويشوهون ذلك النبع الثقافي. فالتربية من النبع الثقافي الخالص هي التي ستكون نجدةً حقيقيةً لشباب وأطفال الأمة. فالأمم التي تحتم بمؤسسات الزواج والعائلة هي التي ستسيطر في المستقبل، وليس الأمم التكنولوجية. [7]

وعلى الصعيد الداخلي، يعتقد "كولن" بأنه لا نغضة للأمة إلا بقيام الحكومات بتنظيم سلوكيات الأفراد من خلال توحيدهم على تفكير واحد، وشعور واحد، ومقصد واحد، وتعليم واحد؛ وكذلك قيام الحكومات بتوفير العدل والاستقرار والأمن؛ وبعودة السياسة إلى مفهومها الحضاري الإسلامي، ألا وهو فن الإدارة لجلب رضا الله ورضا الناس؛ وبعودة المفهوم السامي للدين باعتباره النبع المبارك لأساس المدنية الحق التي تتحقق بالعلم والأخلاق معاً، والتي تتمثل في غنى النفس ورقة الروح واعتراف بحق الآخرين في الاختلاف، وليس في غنى المظاهر والأرستقراطية؛ وبعودة العلم والتخطيط كمنهج للفعل قبل التعبئة العامة. [8]

إنحاض الأمة يتطلب، في رؤية "كولن"، أصحاب النفوس الكبيرة الذين جعلوا أنفسهم عبيداً للحق والحقيقية وليس للشهرة، الذين يملكون علماً ومعرفةً وأصالةً ومهارةً في إدارة شؤون الدولة والمجتمع؛ يتطلب "أبطال الحمية والأحاسيس العميقة" الذين يجيئون الأمة بالدين والحكمة والسلاح، والذين يوحدون المسلمين ويجمعونهم على التصديق بالقرآن والإيمان به، لأنه السبيل الوحيد لتجميعهم، والذين يفضلون سياسة العدل والحق على سياسة القوة لأن حكم الحق باق وحكم القوة زائل. إن إنحاض الأمة يتطلب رفع مبدأ "المشورة" الذي يزيل صداً الأفكار ويكسب العقول المحدودة شمولية غير محدودة، ومبدأ "العدل" الذي هو أقوى من الأفواج الحربية، ومبدأ "نمط العيش البسيط للكوماندوز" الذي إن تركه المسلمون أترفوا وأفسدوا، ومبدأ "الدعوة بالحق للجميع" حتى لأولئك المشرفين على جهنم. [9]

[1] محمد فتح الله كولن، الموازين أو أضواء على الطريق، أورخان محمد علي (ترجمة)، (دار النيل للطباعة

والنشر: أسطنبول، 2006)، صص 7-60

[2] المرجع السابق، ص 53، ص 62

[3] المرجع السابق، صص 65-67

[4] المرجع السابق، صص 69-73

[5] المرجع السابق، ص 130

[6] المرجع السابق، صص 74-75

[7] المرجع السابق، صص 79-83

[8] المرجع السابق، صص 89-126

[9] المرجع السابق، صص 127-201

عرض كتاب "ونحن نقيم صرح الروح"¹

عبدہ إبراهيم

"إلهي كبر بدني حتى تملأ به جهنم، فلا يبقى فيها مكان لغيري"

فتح الله كولن

يرسم الأستاذ فتح الله كولن في هذا الكتاب المتكامل على الرغم من أنه مجموعة مقالات نشرت في مجلة الأمل طريقاً للنهوض بالأمة التركية حتى تستعيد دورها العالمي الذي كانت تقوم به في فترات سابقة وذلك عبر تشخيص الوضع الراهن والتعرف على كيف وصلت تركيا إلى هذا الانحدار بعد أن كانت إمبراطورية شاسعة الأرجاء.

ويحدد أسباب هذا الانحدار ومنها البعد عن الدين وعن القيم الأخلاقية، مؤكداً أن استعادة هذا المجد بالعودة إلى الدين وإحيائه مرة أخرى، ويشير إلى أن هذا الإحياء في حاجة إلى خلفاء لله يقوموا به ويطلق عليهم أسماء متعددة ولكن متكاملة غير متناقضة فهم ورثة الأرض، وأجيال الأمل، أو الأجيال المثالية، أو عُقبان جيش النور، أو مهندسو الروح، أو مهندسي مستقبل الضياء، أو إنسان الفكر والحركة، أو الإنسان الجديد، ويحدد صفاتهم، كما يرسم لهم طريقة العمل والتي من خلالها يمكن استعادة أمجادهم مرة أخرى.

ويركز الأستاذ فتح الله كولن على هؤلاء الأشخاص (ورثة الأرض) وكيفية صناعتهم فكرياً وحركياً عبر تربيتهم على الشورى وإثراء شعورهم بالمسئولية وشعورهم بالآخرين وبالمجتمع وخروجهم من الفوضى إلى النظام، حتى يصيروا قادرين على إنجاز هذه المهمة التي تحتاج إلى عمل دؤوب وسعى مستمر وكذلك عمل جماعي يعتمد على الشورى وبناء الإنسان من الداخل حتى يمكن بناء الأمة، فبناء صرح الروح الذاتية يسهم في بناء صرح روح الأمة.

وعبر مقالات الكتاب الواحد والعشرين يُشرّح الكاتب المجتمع التركي ويبين مناقب الضعف وعناصر القوة التي يجب أن يبني عليها ويرى من خلال هذا الكتاب ضرورة الاستفادة من مختلف جهود أبناء الأمة على أساس أخلاقي وديني واضح وقادر على أن ينطلق من بيئته التركية الإسلامية ليس فقط لبناء تركيا وعودتها إلى الحضن الإسلامي من جديد ولكن لتكون بداية انطلاقاً لنظام عالمي إسلامي جديد.

القضية الأساسية عند فتح الله كولن:

يبدأ الأستاذ فتح الله كولن بتحديد الأزمة التي يعيشها المجتمع التركي فبتراجعهم عن تمسكهم بالدين وبعدهم عن الأخلاق وبعدهم عن العقل العلمي ووقعوهم أسرى في قيود الجهل والانحلال الأخلاقي والخرافة والأهواء البدنية والجسمانية انحدروا إلى مهاوي الظلام والخسران.

ويؤكد أن أساس حياتنا المعنوية (كمسلمين) قائم على الفكر الديني والتصورات الدينية فإذا جردنا أنفسنا منه سوف نجد أنفسنا متخلفين ألف سنة للوراء، ويضيف أن الدين الإسلامي يشمل العبادات إضافة إلى احتضانه للحياة الفردية والاجتماعية، والذين يخلقون صداماً بين الدين والعلم بؤساء جهلوا روح الدين والعقل، وأضاف بأن إلقاء مسئولية الصراع بين الفئات الاجتماعية المتنوعة على كاهل الدين سقوط مريع في الانحدار.

ويؤكد أن المجتمع الإسلامي في حاجة إلى "بعث ما بعد الموت" وإصلاح جاد في ملكاته العقلية والروحية والفكرية وإلى إحياء يستجيب لمتطلبات أصناف البشر كلهم ويحتضن الحياة كلها في كل زمان ومكان.

¹ - الكتاب صادر عن دار النيل للطباعة والنشر، 1426 هـ، 2006 م، الطبعة الثانية، ترجمة عوني عمر لطفي أوغلو، في 144 صفحة.

كما يؤكد أن الأمة (التركية) تمتلك تراكما علميا يجعلها قادرة على الريادة فيما حولها من التكوينات الجديدة كما أن قيادتها السابقة تجعل لها قبولاً لدى الشعوب وهي مقتدرة على تفعيل ذلك اليوم بل هي جاهزة تماماً ولكن عليها أن تستعمل المحركات التاريخية التي تعد دم هذا الماضي ولحمه استعمالاً سليماً وصحيحاً.

ويطالب الأمة التركية بفتح صفحة جديدة ولكنه يحدد في البداية ضرورة انتزاع الأفكار المنحرفة في هذا الوطن فبلوغ غاية الأمان من وجهة نظره يجب أن يسبقها التخلص من أسباب ودواعي الانهيار والانحلال الحقيقية مثل الحرص والكسل وطلب الشهرة وشهوة السلطة والأنانية.

كما يؤكد أن النهضات الحقيقية تبنى على أكتاف الجهود الفردية المؤمنة والمخلصة لها، ويضيف أنه من ضمانات الثبات على النهج الصحيح في التجدد أن نجعل رضا الله غاية الآمال والروح أساساً للحركية في جهود الشعور بالواجب وحب الإنسان والوطن.

طريق الإنقاذ:

ويحدد أن العالم سوف يرى مرة أخرى نظام عالمي جديد في ظل الإسلام، ومن هنا يتحدث عن وارثو الأرض ويعرفهم بأنهم ممثلوا الروحانية المحمدية والأخلاق القرآنية المنشغلون بالاتحاد والاجتماع المدركون لأحوال عصرهم، المسلحون بالعلم والفن المقيمون لميزان الدنيا والآخرة.

وهم من يفهموا الإسلام باعتباره مصدراً كافياً للانبعث المادي والمعنوي كما هو في أصله، والانخراط في جموع عباد الله الصالحين السالمين المتينين عاطفة وفكراً وحساً وشعوراً وإرادة الثابتين القائمين على إعلاء كلمة الله.

أما عن كيفية اكتشاف هؤلاء الورثة، فيؤكد أننا بحاجة إلى اكتشاف أنفسنا من جديد فلا مناص من إحياء الفكر الإسلامي والتصور الإسلامي من أجل الاقتراب من الوجود والحوادث بسياق إسلامي وتقييم الأشياء كلها بمنطق إسلامي ويلزم لذلك الاستشعار فالتعقل بالكائنات والإنسان والحياة، وأن يقود العقل وتمحيص وفهم المسائل إلى تفهم المناسبات بكلية وجمعية في عموم الأشياء وعموم الوقاية المعروضة لمطالعتنا بمعان ومحتويات حكم مشحونة ملء الدنيا ككتاب منظومة حكمة فائضة.

صفات ورثة الأرض :

الوصف الأول لوارث الأرض هو الإيمان الكامل، فوارث الأرض لا يرى إلا الله سبحانه ولا يعرف إلا هو ولا يفر إلا إليه ولا يجي إلا متوجهاً إليه، فيستطيع تحدي كل القوى الدنيوية بقدر معرفته واعتماده على الله.

الوصف الثاني هو العشق الذي يعد أهم أكسير للحياة في الانبعث من جديد وهنا العشق لكل البشر بل لكل الوجود.

الوصف الثالث للوارث هو التوجه إلى العلم بميزان العقل والمنطق والشعور فلا بد من تحقيق تجددنا الذاتي في ظل الفكر العلمي الذي نشحن شبابنا به وبتمازجهم تمازجاً كاملاً بالعلم والفكر.

الوصف الرابع للوارث هو إعادة النظر في ملاحظاته عن الكائنات والإنسان والحياة وتمييز الصحيح من الخطأ بميزان دقيق.

الوصف الخامس للوارث هو أن يكون حراً في التفكير وموقراً لحرية التفكير فالتحرر وتذوق حس الحرية عمق مهم لإرادة الإنسان وباب سحري يفتح على أسرار الذات.

الوصف السادس للوارث أن يكون متسع الصدر للإحاطة بالتفكير الحر والانفتاح على العلم والبحث العلمي واستشعار التوافق بين القرآن وسنة الله على الخط الممتد من الكائنات إلى الحياة.

الوصف السابع للوارث هو الفكر الرياضي وهنا يؤكد على ضرورة الجمع بين العلم الرياضي والعلم الصوفي عند الوارث فنحن مضطرون إلى قبول الأسلوب المزدوج لفهم الوجود فهما شاملا، وأعني الفكر التصوفي والبحث العلمي. الوصف الثامن وهو الفكر الفني.

كما يؤكد أن الشخصية التي يحتاج إليها المجتمع كما حددها هي شخصية الإنسان المخلص المتحمس والمتوازن الذي يحركه الشعور والإدراك والمسئولية، ويهيمن على تصرفاته وأعماله التفكير في الأيام القادمة في خطته وبرامجه بقدر من التفكير في ضرورات الحاضر، شخصية مهندس الفكر والروح المنفتح على الوجود بقلبه العامر عقله بشعور العلم، المقنن على تحديد ذاته ككرة أخرى المتبوع للنظام في كل وقت والمصلح لتخريب آخر في كل لحظة، تلك الشخصية تهول من نصر إلى نصر لكن ليس لتخريب البلاد وإقامة العروش فوق خرائبها بل لتحريك المشاعر والملكات الإنسانية وتقويتها بالحب والرعاية والمروءة التي تحتضن الناس كلهم والأشياء جميعا وإعمار الأرجاء المنهدمة ونفخ الحياة في الأوصال الميتة للتحويل إلى حياة ودم يسري في عروق الوجود.

هذا الإنسان رباني في كل أحواله وبكل ذاته.. وهو في مناسبة دائمة مع الوجود باعتباره خليفة الله. هو قاصد في حياته الشخصية أن يبلغ أفاق الإنسان المثالي يسابق ويباري الأولياء والأصفياء في تمثله بالأوامر والنواهي الإلهية.

ويؤكد أن الذين يقضون أعمارهم في إخلاص ووفاء واهتمام بالآخرين إلى درجة إهمال أنفسهم من أجل إحياء الغير هم الوارثون الحقيقيون للحقائق التاريخية الذين نودع أرواحنا وديعة مأمونة عندهم. لقد آن الآوان بل يكاد يفوت لكي نحمل أعباء مؤسساتنا في كل مجال مثل الدين والعلم والفن والأخلاق والاقتصاد والعائلة ونسبو بها إلى مواقعها الحقيقية في تاريخنا فنحن أمة ننتظر ونترقب رجال عزم وإرادة وجهد يحملون هذه المسئولية. نحن اليوم في أمس الحاجة إلى مرشدين ذوي أدمغة متأهلة وأفكار رحيبة وآفاق واسعة يقيمون هذه الموازنات لإنساننا ويرتقون بشعبنا إلى ذرى الفكر.

الأجيال المثالية :

ورجل الفكر الراقي يستشعر التوقير للقيم التي وهب لها قلبه استشعارا عميقا كعمق المراقبة، وهو في سلوكه طريق السامقين مشدودا شدا وثيقا بحسابات الحق.

إن أجيال الفكر المثالية المتوجهين نحو المستقبل بحسبهم وفكرهم وعملهم الحركي المحبين لرسالتهم ووطنهم وإنسانيتهم بدرجة العشق والمتوترين كوتر القوس في انشدادهم إلى الخدمة والشعور بالمسئولية ستجتاز العقبات كلها وتنشئ تكوينات جديدة تكون قادرة على النهوض والإحياء من جديد.

ومن وجهة نظره فهؤلاء الأشخاص هم أجيال الأمل باعتبار الزمن الحاضر هم ممثلوا العلم والإيمان والأخلاق والفن وهم مهندسو الروح، فالحال يقتضي أن ترسخ الفكرة المشتركة بيننا كشعب وأعني الدين والعاطفة المليية على القواعد المتينة والرصينة التي تسمو فوق كل الأحلام والمتخيلات وتتجاوز حقائق الأرواح المنفردة وتعتمد على الإيمان السليم المتين والفكر المتأصل والأخلاق المستقرة والفضيلة المتمكنة من الأرواح فلا يمكن الوصول إلى مركب فكري جديد وأسلوب مبتكر في التعبير عبر الذات من دون احتضان لجذور الروح والمعنى في حياتنا الذاتية.

وهم ليسوا رجال دين فقط فالواحد منهم هو إنسان الفكر والحركة هو رجل الانطلاقة والحملة، الحركي المخطط الذي يقوم ويقعد على خفقان شد العالم بالنظام مجددا ويمثل حركة إقامة صرح الروح والمعنى من جديد بعدما آل إلى السقوط

منذ عصور، ويفسر قيمنا التاريخية ككرة أخرى، ويستخدم بمهارة مكوك الإدارة والمنطق في الفكر والحركة، وينتشر على قماش روحنا ومعانانا زخارف مستظرفة وجديرة تناسبنا. وأشار إلى العديد من النماذج التركية في هذا السياق.

متطلبات الإنقاذ:

الشورى:

يعرفها بأنها وصف حيوي وقاعدة لرباني اليوم كما كانت للورثة الأوليين فهي في القرآن الكريم أبرز علامات المجتمع المؤمن وأهم خصوصيات الجماعة التي تهب قلبها للإسلام، والشورى في القرآن تأتي على نفس مرتبة الصلاة والزكاة أي هي عبادة، وبهذا الاعتبار لا يعد المجتمع الذي يهمل الشورى مجتمعاً متكامل الإيمان، كما لا تعد الجماعة التي لا تعمل بما جماعته مسلمة بالمعنى الكامل، فالشورى في دين الإسلام أساس حياتي لا بد للرؤساء والمرؤوسين من إجرائه، فالرؤساء مكلفون بالاستشارة في السياسة والإدارة والتشريع وأمور كثيرة تتعلق بالمجتمع والمرؤوسون مكلفون ببيان رأيهم وفكرهم للرؤساء.

كما قدم مجموعة من الملاحظات عن الشورى:

- الشورى شرط أساسي لإمكان إقرار الرأي الصائب في مسألة من المسائل ، بل هي الوسيلة المهمة لاستمداد قدرة الفرد وطاقته أضعافاً مضاعفة.

- القاعدة في الإسلام كنظام أن الشورى من أهم القدرات الحركية لقيامه ودوامه فهي أهم العناصر في حل المسائل المتعلقة بالفرد والمجتمع والشعب والدولة والعلم والمعارف والاقتصاديات والاجتماعيات فيما لم يرد فيه نص صريح. إن هيئة شورى الدولة في الإسلام تتقدم على السلطة التنفيذية وترشدها.

- رئيس الدولة الأعظم ملزم بأصل الشورى مهما كانت شرعيته.

- الشورى ليست مصدراً تشريعياً تسبق الأوامر الإلهية فالشورى أساس لقوانين ونظم ولكن محدودة بمصادره التشريعية الحقيقية فالإسلام لا يسمح بالتدخل الإنساني في المسائل التي ورد فيها نص صريح ففي هذه المسائل تتراجع الشورى لاستشفاف المقاصد التي يعبر عنها النص وما عدا ما ورد فيه نص فهو في مجال الشورى تماماً، وما تقرره الشورى من نتائج وقرارات في هذه المسائل ملزمة كإلزام النص.

وتحدث عن نتائج الشورى:

رفع مستوى الفكر والمشاركة في المجتمع

توليد أفكار بديلة

الحفاظ على حضور الشورى وحيويتها من أجل مستقبل الإسلام

إدامة حياة الإحساس بمحاسبة الرؤساء متى ما اقتضت الحاجة وإعاقه تصرف الرؤساء الاعتباطي وتحديد تصرفهم.

وتحدث عن أسس الشورى:

- الشورى حق للرؤساء والمرؤوسين ولا رجحان حق في استعمال هذا الحق لطرف على الطرف الآخر.

- الرئيس يقع تحت طائلة المسؤولية إن لم يعرض الشؤون الداخلية فغني نطاق التشاور على أهل الرأي ، ويتحمل المرؤوسون مسؤولية كتم آرائهم إن لم يبدوها متى عرضت عليهم هذه الشؤون للتشاور.

- طلب رضا الله تعالى وتحري مصلحة المسلمين في الشورى والامتناع عن تحريف آراء أهل الشورى عن وجهتها بالرشوة والضغط والتهديد.

- . إن لم يحدث إجماع في الشورى فالعمل برأي الأكثرين وقناعاتهم، ولا يجوز مخالفة رأي، أو اقتراح بديل له، بعد إقراره بالإجماع أو بالأكثرية ما دامت الشورى قد أُجريت حسب شروطها.
- . تنشغل الشورى أكثر بحل المشكلات القائمة لا بمقررات حوادث قد تحدث.
- . تجتمع الهيئة المشكلة للشورى كلما دعت الحاجة ولا تنفك عن العمل حتى إكماله.

الحركية والفكر:

يؤكد على أهمية كلمتي الحركية والفكر، فالحركية هي احتضان الإنسان للوجود كله بأصدق وأخلص القرارات والتدقيق فيه والسير من خلال المعابر التي فيه إلى اللانهاية.

إن حركية حياتنا الدعوية والفكرية هي حياتنا الروحية في حال لا يمكن به فصل حياتنا الروحة عن الفكر الديني. ينبغي أن يستشعر وارثوا الأرض الذين يخططون لإقامة عالم المستقبل نوع العالم الذي يريدون إقامته ونوع الجواهر اللازم استعمالها في إعمار هذا العالم حتى لا يضطروا هم بأنفسهم إلى هدم ما بنوه. إن جذور المعنى وأصول الأسس لألف سنة من حياتنا، وعلى مهندسي مستقبل الضياء أن يجتهدوا في استخدام قوتهم الفكرية إلى جوانب دوافعهم الحركية من أجل أن تنصت المحركات التاريخية التي تنشئ بها حياتنا الدينية والمالية إلى صوت الإسلام كرة أخرى، كل ذلك يرتبط بالانفتاح على الروحانية والنظر إلى الدنيا والعلم بما كصالة انتظار إلى الأخرى.

الشعور بالمسؤولية:

إن الشعور بالمسؤولية وعزيمة الهمة العالية وإرادة القيادة الإرشادية التي تتعدى حدود فرديتنا والتي تشكل أهم مصدر للأمان الكوني هي الأساس الفريد لخلاصنا كما هي صوت مؤثر ولسان بليغ يهمس بالروح وبالمعنى اللذين تحتاج إليهما الإنسانية جمعاء.

الطريق الوحيد للتحويل من الفردية إلى الجماعية ومن قطرة بحر وبلوغ الخلود بمهذبة الوسيلة هو الفناء بالذوبان في الآخرين والاندماج بهم والانصهار معهم من أجل إحيائهم والحياة معهم لا شك إن إنجاز ما تملبه المسؤولية مرتباً ارتباطاً وثيقاً بأبطال يصونون مصير الوطن ويحمون تاريخ إنساننا ودينه وأعرافه وتقاليده ومقدساته كلها .. أبطال طافحين بحب العلم منشدين الأعمار والإنشاء متدينين أخلص من الخلق محبين للشعب ومرابطين أبداً على أداء واجباتهم بشعور المسؤولية فهؤلاء وبجهودهم ستهيمن أفكارنا ومحصلة هذه المفاهيم والأفكار على حياة شعبنا ويعلو في كل إنسان حس نذر النفس لخدمة المجتمع.

ومن ثم فنحن اليوم في أمس الحاجة إلى طريق يوصلنا إلى الحقيقة والفضيلة ومنهج تفكير لا يخذعنا وموازن لا تضللنا والواقع أن الوجدان والقيم الأخلاقية مصادر نور تكفي لحل كثير من المعضلات ولكن في أيامنا هذه الوجدان جريح والقيم الأخلاقية شتات.

من الضروري أن نبدأ العمل بإعادة النظر في عناصر محاكمتنا الأساسية (المحاكمة العقلية والمنطقية) وتمييز الخط الفكري المنطقي وإيفاء حق الإرادة وإعداد جيل عزم بل أجيال، تعيد النظر في الأفكار والأنظمة الواردة إلينا من الخارج وتطهير المجتمع من لوثيات التغريب.

إن إعادة النظر في تصوراتنا عن النظام وتحديد الإيمان بأن إرادتنا هي التي ستحمل الانسجام الإلهي في الوجود إلى عالم الإنسانية وسحب التوازن الدولي إلى هذا الفلك هو أجل هدية تقدمها الأجيال المعاصرة إلى عوالم المستقبل. إن إحياءنا "بالانبعاث بعد الموت" مرة أخرى مرتباً ارتباطاً وثيقاً بأطقم عديدة من الأبطال البالغين أنوار الحقيقة.

إن أسرع وأقصر وأسلم طريق يوصل الإنسان إلى الحقيقة هو طريق الإيمان المجهز بالعلم والعرفان. ينبغي لكل واحد أن يقول لنفسه بمسئولية فردية جادة: اليوم يوم النضال فإن لم أتهض للعمل فلن ينهض غيري أيضا. ويشير إلى أن فلسفته في الحياة تقوم على أن نسقه الفكري وفلسفته في الحياة موصولة الجذور بالسموات القديمة كالأزل لكن الجديدة بل الأكثر جدة من الجدة ذاتها إلى درجة القدرة على استيعاب كل العصور. ف نظام الفكر وفلسفة الحياة عندنا رحيبة تتناول عوالم الوجود وما قبل الوجود فتقيم الأشياء وما عدا الأشياء في كلية وتعين، معالم نمط الحياة في تكامل وإحاطة، وهو نظام يحيل السلوك الأخلاقي إلى حال السيولة في المجتمع وأجزائه الأفراد، ويستجيب للمتطلبات الإنسانية فيصل المجتمع في ظل ذلك إلى القدرة على تجديد نفسه ذاتيا بالتربية على الروح والأخلاق والفضيلة والتفكير ثم يكون فكرنا الحضاري وغنانا الثقافي كسلطة رائجة في كل أقطار الأرض. فمسئوليتنا الأساسية اليوم هي إشعار الأجيال بمؤثرات الكدح المبذول منذ عصور مديدة والعقائد الإيمانية المتشربة في النفوس والثقافات المتأصلة الجذور على قدر أعماقها في ذاتها وذلك بتطوير حسن التاريخ في الأمة.

خلاصة:

وفي النهاية أكد على أنه من غير المتصور أن يتغير كل شيء في مجتمع يتعرض منذ قرنين إلى الانقلاب في القيم والتعويد على العوائق والمثبطات بحملة واحدة من خوارق الكرامات .

فليس يسيرا أن يحل الإيمان محل الإلحاد والانضباط محل الانفلات والنظام محل الفوضى والأخلاق محل اللاأخلاقية والعشق الإلهي وحب الله محل الشهرة نعم ليس يسيرا إزالة آثار السنين وانتزاع الإلحاد الذي نصب عرشا وسط سرادق الإيمان واللامبالاة التي قلبت القيم الأخلاقية رأسا على عقب.

ولكن يقع على كاهل كل محب للوطن حمل إزالة هذا التعثر وتحريك قدرة النشاط الهامد فينا حسب أفاق فكرنا. ينبغي أن ننسحب مرة أخرى إلى حرم الروح "الملية" ونستعمل حق إرادتنا إلى آخر نقطة وننتقل في المسير مرة أخرى كالحواريين والمسلمين الأوائل بعزم سنته سنين الظلم والغبن الطويلة سائحين عمرا من هجرة إلى هجرة، يدفعا عمق الشعور بضرورة وجود الإيمان والإذعان والعرفان حيثما وجد إنسان. فنعمل على حياكة ما بقي من حياتنا نقوشا على نسيج الفكر والحركة لأهل الحقيقة الذين كسبوا رضا الله تعالى.

عرض كتاب

Key Concepts in the Practice of Sufism: Emerald Hills of the Heart

إعداد: محمد كمال محمد

الكتاب الذى قرائته وأعرضه كما هو واضح من عنوان ترجمته الإنجليزية عن التصوف. فى دورة التثقيف الحضارى الرابعة التى نظمها مركز الدراسات الحضارية وحوار الحضارات فى أغسطس 2008 والتى تناولت خبرات مختلفة من العالم الإسلامى فى قارة آسيا شملت ماليزيا وأندونيسيا وإيران وباكستان وتركيا لفتت أستاذتنا الدكتورة نادية مصطفى إلى ثلاثية ركز عليها الأستاذ نوزاد صواش فى محاضراته عن الخبرة التركية وهى علم المدرسة ، وروح التكية، وانضباط الشكنة.

تذكرت هذه الثلاثية وخصوصًا روح التكية، مع بداية قراءتى للكتاب والحمولة السلبية لكاملة تكية معروفة لدى كثير منا، ومما تذكرته أثناء القراءة أيضًا مقالة د. إبراهيم البيومى غانم فى مؤتمر مستقبل الإصلاح فى العالم الإسلامى الذى عقده المركز فى أكتوبر الماضى من أن الأستاذ فتح الله كولن اهتم بالتصوف نظريًا عمليًا وعقد مصالحه بين أهل الحقيقة وأهل الشريعة . وجدد العلاقة بين الصوفى والتاجر، بين المبلغ ورجل الأعمال. وقلت أن هذه فرصة لمعرفة أكثر عن تصور مفكر تركى كبير عن التصوف خصوصًا أن تجربته حققت الكثير من النجاح على أرض الواقع داخل تركيا وخارجها . وكان السؤال الموجّه للقراءة يدور عن رؤية الشيخ عن التصوف : معناه وأساسه فائدته وأركانه

الكتاب فى ترجمته الإنجليزية جزءان وهو مترجم تحت عنوان Key Concepts in the Practice of Sufism: Emerald Hills of Heart . الترجمة العربية جزء واحد وهى بعنوان " التلال الزمردية: نحو حياة القلب والروح " . وعلى موقع الأستاذ فتح كولن هناك فهناك أربعة أجزاء و يوجد الجزء الأول بالعربية كاملاً. ويحتوى على 46 مفهومًا، والثانى 50 مفهومًا، والجزءان موجدان فى الترجمة الإنجليزية . والثالث 24 ، والرابع 15. إلى أن الأجزاء الأربعة تحتوى 130 مفهوم .

بعد أن يستعرض الأستاذ فتح الله كولن فى مقدمته بعض تعريفات للصوفية يخلص إلى نتيجة جامعة هي: أن التصوف هو الانسلاخ من الصفات البشرية - فى معيار - والتدثر بالأوصاف الملكية والأخلاق الإلهية، والعيش فى مدار معرفة الله ومحبهه تعالى والتذوق الروحاني .

و أساس التصوف لديه هو الرعاية لآداب الشريعة ظاهراً، والوقوف على تلك الآداب باطنًا، فالسالك الذى يُحسن استعمال هذين الجناحين يرى من الباطن ما فى الظاهر من الأحكام، ويشعر ويعيش فى الظاهر بالأحكام التى فى الباطن. ويفضل هذه المشاهدة والشعور يسير دومًا بأدب نحو الهدف، ويجول قريبًا منه ويجوم حوله والتصوف طريق مفتوح إلى المعرفة الربانية وعمل دائم جاد، لا محل فيه للهزل واللامبالاة واللهو والعبث. ويتناول أصل التصوف وأساسه وموضوعه وفائدته وأركانه :

أصل التصوف : هو الاعتصام بأسس الدين بقوة، ومراعاة أوامره ونواهيه بدقة
موضوع التصوف : رفع الإنسان إلى مستوى الحياة القلبية والروحية، وتصفية القلب، وتوجيه اللطائف إلى مرجعها الأصلي.

فائدة التصوف : تحفيز الإنسان لتنمية جوانبه الإيمانية.. واستشعار الإيمان كشئًا وذوقًا والعيش به.

أساس التصوف :تعميق شعور العبودية وترسيخه بالمواظبة على العبادة والطاعة وجعله جانبًا مهمًا لطبيعة الإنسان، ومن أركان التصوف

1-بلوغ التوحيد الحقيقي

3-الامتلاء بمحبة الحق سبحانه،

4-العمل بروح الإيثار في كل وقت وحين، بتفضيل الآخرين قدر المستطاع على نفسه.

5-تقديم المراد الإلهي على مراده هو

: التزود بالعلوم الظاهرة والباطنة، والاحتماء بريادة إنسان كامل وإرشاده

والصوفي عن الأستاذ كولن هو تلميذ هذا علم حقيقة القلب ، وفارس ميدانه لبلوغ نهاية هذا الطريق، يسير طوال عمره نحو الأفق المثالي لكل إنسان، ألا وهو الإنسان الكامل.

والصوفي الحق - عند الشيخ- قرآني الروح، سني السلوك، فلا عروج ولا ارتقاء إلا فيهما ومنهما، وهو واع جدًا بأن إذكاء نار العداء والصدع بين الذين يسمون أهل الشريعة وأهل الحقيقة أجاج في السابق ويؤجج اليوم صراعات خطيرة بين المسلمين، وهو يرى أنه وهم يجب الانتباه إليه، ويدعو الله تعالى أن يقيض رجالاً من رواد الحقيقة ورجالاً من رواد الشريعة ليتداركوا هذا الأمر الخطير ويردموا ما بين المسلمين من هوات واسعة عميقة.

ومن المفاهيم التي تناولها الأستاذ فتح الله كولن التوبة، الإنابة، المحاسبة، التفكير، الاعتصام، الخلوة، العزلة، الحال، القلب، الحزن، الخوف، الرجاء، الخشوع، الزهد، التقوى، الورع، العبادة، العبودية، المراقبة، الإخلاص، الاستقامة، التوكل، التسليم، التفويض، الثقة، الخلق، التواضع، الفتوة، الصدق، الحياء، الشكر، الصبر، الرضا، الانبساط، القصد، العزم، الإرادة، المرید، المراد، اليقين، الذكر، الإحسان، الرياضة، التبدل، الحرية، الاحترام، العلم، الحكمة، المهمة، الوقت. يبدأ الأستاذ كولن كل مفهوم بتناوله من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ثم كتابات كبار علماء التصوف المسلمين من العرب والفرس والترك ويستشهد بأشعار صوفية قديمة وحديثة باللغات التركية والفارسية والعربية. ويختتم كل مفهوم بالدعاء ثم الصلاة على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بشكل يتناسب مع المفهوم الذي يتناوله.

ذكر المفكر الإسلامي والمؤرخ الكبير المستشار طارق البشري، في مؤتمر مستقبل لإصلاح في العالم الإسلامي أن الحركات الصوفية في تركيا بقيت قادرة على التحريك (تحريك المجتمع والطاقات والمساهمة بفعالية في المجال العالم) في ظل الدولة العلمانية، لكن في مصر لم تعتنى الحركات العلمانية والإسلامية ولم تهتم بالصوفية فوُجعت الصوفية في يد الإنجليز والسلطة. ولم يكن ذلك في صالح الأمة. وأظن أن تجسير الفجوة بين التوجهات الإصلاحية والصوفية في مصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي يصب في مصلحة الصوفية فيجعلها فاعلة وفي مصلحة هذه التوجهات فيرفدها بطاقات بشرية كبيرة، مما يصب في عافية الأمة ومصلحتها، وهو أمر يتطلب جهود واعية ومخلصة ويتطلب أيضاً وقت .

أخيراً لفت نظري تناول الأستاذ فتح كولن لمفهوم الوقت

فالصوفي هو ابن الوقت، أي أن السالك يبذل جهد عنايته بما يجب عليه أن يفعله في كل لحظة، ويفعل ما يأمره الله به، ويستخدم كل الأوقات والفرص التي منحها الله له كما لو كانت حبة يمكن أن تثمر سبع أو سبعين أو سبعمائة حبة. وكون الصوفي هو ابن الوقت يعني أنه يعلق قلبه وبصره دوماً وحصرًا بالله. وهو يستطيع أن يستثمر الوقت، ولا يستهلك الوقت ولا يستهلكه الوقت.

وفي الختام أرجو ألا يكون هذا العرض قد استهلك أوقاتكم، وأن يكون دافعاً لمن لم يقرأ الكتاب أن يقرأه و ان يعيد من قرأه قرائته مرة أخرى، كما أرجو أن يكمل الأخوة القائمون على ترجمة فكر الأستاذ فتح كولن إلى العربية

ترجمة الأجزاء الثلاثة المتبقية من الكتاب " تحت الظلال الزمردية : نحو حياة القلب والروح" فهو كتاب يسهم في رأب صدع كبير في جسد الأمة الصدع المفتعل بين من يسمون أهل الشريعة وأهل الحقيقة، وهو أمر يعزز جهود الإصلاح عبر التربية والسياسة التي ينظر إليها الأستاذ فتح الله كولن على أنها "فن الإدارة التي تجلب رضا الله تعالى ورضا الناس"

عرض كتاب: pearls of wisdom لآلئ الحكمة

مروة يوسف محمد

تتناول هذه الورقة عرض كتاب لآلئ الحكمة للشيخ محمد فتح الله كولن، ترجمه إلى الإنجليزية علي أونلا. ويتكون الكتاب من تسع فصول تتضمن مجموعة من المقالات المجمع للشيخ فتح الله كولن عن كيفية إصلاح الأمة الإسلامية بدءاً من الفرد إلى الأمة، إضافة إلى مقدمة وهي:

الفصل الأول: الحياة الروحية.

ويتضمن مجموعة من المقالات حول (القرآن، الرسول محمد صلي الله عليه وسلم، الدين، العبادة، الاحلام، الحياة الحقيقية الطويلة، انتصار الجمال والخير)

الفصل الثاني: الحياة الشخصية.

ويتضمن مجموعة من المقالات المجمع حول (موازنة الروحي والجسدي، الحياة وشخية الانسان والفضيلة، الحب، الاخلاق، الضمير، امسك اللسان، التواضع، احترام الفكر، الحكمة)

الفصل الثالث: الاسرة.

ويتضمن مجموعة من المقالات حول (الزواج والبيت، تربية الشباب، الاطفال، حقوق الاطفال، الشباب، حقوق الاباء)

الفصل الرابع: المعرفة.

ويتضمن مقالات حول (العلم والمعرفة، ماذا ننتظر من العلم، التقدم، الثقافة، الحضارة)

الفصل الخامس: المجتمع.

ويتضمن مقالات حول (الانسانية، البشر، المرأة، الحرية، الفن، الادب، الشعر، الاعلام)

الفصل السادس: التفاعل الاجتماعي.

ويتضمن مقالات حول (التسامح، الشوري، وضوح الاهداف والمعاني، الصداقة، حفظ الاسرار)

الفصل السابع: الحكومة.

ويتضمن مقالات حول (السياسة، الجمهورية، الامة، الطريق إلى الامة)

الفصل الثامن: المصائد

ويتضمن مقالات حول (ادمان الراحة، حالة حب، تفادي التقلبات، اولئك الذي يمحون اليوم، الارواح الشريرة)

الفصل التاسع: البشر المثاليون.

ويتضمن مقالات حول (الناس الذين يخدمون، اساسيات الطريق، ابطال الحب، النزاهة الشخصية، الارواح المتألمة، لآلئ الحكمة)

ويقوم العرض علي ثلاث أجزاء من خماسية توماس كوهن 1- رؤية العالم (او الرؤية الكلية للكتاب)

2- الإطار التفسيري:

- قواعد التفسير: يقصد بها الكليات التي يستند إليها الكاتب في تفسير الواقع أو تبريره.
- مناهج التفسير: الطريقة التي ينتقل بها من كلياته إلى نتائجه التفسيرية.

3- القضايا الأجدر بالتناول:

وتتمثل في القضايا الأكثر تكرارًا، والتي يستغرق الكاتب في عرضها بشكل أساسي، وتحتل حجمًا كبيرًا من الكتاب.

وفيما يلي عرض الكتاب وفق العناصر السابقة، وذلك مع عدم عرض الفصلين الثامن والتاسع من الكتاب لأنهما لم يتم التركيز عليهم من قبل الكاتب والفصلين خارج سياق الإصلاح المهتم بالفرد والذي يسير معه إلى إصلاح السياسة والأمة.

أولاً- الرؤية الكلية للكتاب:

ويرى الكاتب فتح الله كولن في كتابه "لآلئ الحكمة" أن الحالة المزرية للعالم الإسلامي حاليًا سببها البعد عن الإسلام الحق، فيري "أن العالم الإسلامي في كسل وراحة لا يقدم أي تفكير بناء يفيد نفسه والبشرية. فلم يعد العالم الإسلامي - كما يرى الشيخ كولن - مهتمًا بما أمر به الإسلام من التمسك بالفضيلة والعيش بكرامة والبحث في مناقب الكون للوصول إلى الله وإفادة البشرية.

ويأسف الشيخ كولن علي حال الأمة الإسلامية وكيف أن المسلمين غاب عنهم مفهوم العبودية وكيفية ذلك لانغماسهم في الرغبات والنزوات الحسية وذلك بسبب بعدهم عن تزكية النفس والبحث عن جوهر الإنسان الداخلي وكيف أن المسلمين حاليًا لا يستطيعون تقديم الحقيقة وذلك علي حسب قوله لأولئك الذين يبحثون عن الحقيقة، وكيف أن من هم ليسوا بمسلمين ينظرون للإسلام من خلال واقع المسلمين المؤسف ويحكمون علي الإسلام من خلاله. ويرى الشيخ فتح الله كولن في كتابة لإلى الحكمة ان الله وضع طريقًا قويمًا ليسير عليه البشر لينالوا السعادة الدنيوية وفي الحياة الآخرة وذلك الطريق هو الاسلام.

وفي كتاب لآلئ الحكمة يحاول الشيخ فتح الله كولن ان يصل بالقلب البشري إلى الله عن طريق رحلة طويلة تبدأ بحياة الفرد الروحية، وصولًا للحكم والحكومة، انتهاء بوصف الاشخاص المثاليين وما يجب ان يكون عليه معظم الناس من خدمة الآخرين.

وذلك في طريق اصلاح الامة الاسلامية لتعود منارة العلم وذلك ليقوم المسلمين بدورهم المتمثل في اصلاح انفسهم ودعوة الآخرين الذين لا يعرفون الاسلام.

ومن وحي نزعة صوفية يبدأ وينهي الشيخ كتابه لإلى الحكمة في محاولة لاضاءة الطريق إلى الله كما يطلق عليه وذلك بداية بتفكر القلب في عظيم خلق الله

ثانياً- الإطار التفسيري:

يقوم كتاب الشيخ فتح الله كولن لآلئ الحكمة علي حجة رئيسية وهي ان الطريق إلى اصلاح الامة هو باصلاح افرادها ويقوم اصلاحهم برجوعهم إلى الله وسلوكهم طريقه القويم الذي هو الاسلام الحق ولذلك فهناك علاقة طردية بين رجوع الافراد إلى الله واصلاح الامة وتقدمها وقيامها بدورها الحضاري.

وعلي مدي تسع فصول تنقسم تلك الحجة الرئيسة إلى حجج فرعية في عدد من المستويات:

المستوى الأول: المستوى الفردي

ويقسم حجج المستوى الفردي إلى مستويين وهما الحياة الداخلية للفرد (الحياة الروحية)، والمستوى الثاني هو الحياة الشخصية.

1- الحياة الروحية: ان الانسان عند قيامة بتنمية حياته الروحية ومحاولته استشعار عظمة الله ومعرفة مكانته كعبد من عباد الله فهو سوف يحيا حياة السعداء ويستفيد من سنوات عمره ويفيد الآخرين ويستطيع الإنسان القيام بذلك عن طريق التفكير والسير علي نهج القرآن والسنة النبوية.

2- الحياة الشخصية: ان السعداء في هذه الحياة من يستطيعون الموازنة بين حياتهم الروحية والجسدية حتي يستطيعوا الحياة بتناغم لتقديم المنفعة للآخرين وقد قدم الكتاب بعض الوسائل للقيام بذلك وهي بغرس الحب بين الأفراد وهم أطفال وتربيتهم علي الاخلاق والتواضع وحفظ سنتهم والحكمة وتركية الضمير داخلهم و احترام افكار الاخرين.

المستوى الثاني: مستوى الأسرة

وينقسم ذلك المستوى إلى مستويين وهما الزواج والعائلة، والمستوى الثاني ينقسم إلى الأطفال والشباب.

1- الزواج والبيت: إن الأسرة نواه الأمة، فهي امة صغيرة وبإصلاحها تصلح الأمة، و لذلك فيجب التفكير بشكل جيد والقيام بالاختيار الصحيح قبل الزواج، وان من أسباب الزواج السعيد المفيد لمجتمعه هي قيامه علي شخصين اختاروا بعضهم البعض من اجل الجمال الداخلي والأخلاق والفضيلة والشخصية وليس الجمال الجسدي والثروة.

2- الأطفال: على كل أمة تريد ضمان مستقبلها توجيه بعض عنايتها إلى تربية وتنشئة أطفالها الذين سيكونون رجالها في المستقبل.

تربية الشباب: إن مستقبل الأمة في شبابها ويجب الاهتمام بتعليمهم الثقافة والقيم، وذلك لأن إصلاح أي أمة لا يكون بالقضاء على الشر والفساد، بل بتربية الأجيال القادمة تربية صحيحة وبتثقيفها ثقافة صحيحة، ورفعها إلى مستوى الإنسانية الحق، وعندما تتم تربية الأجيال علي الشعور الديني والتاريخي والأعراف في أرجاء الأمة، فسنري رجال ونساء يمحون الفساد الذي استشري في المجتمع.

المستوى الثالث: مستوى المعرفة

وينقسم ذلك المستوى إلى ما هو العلم الذي يجب أن نهتم به وما المنتظر من ذلك العلم.

1- العلم: يجب النظر إلى العلم كأداة للوصول إلى الله، فالعلوم مفيدة بدرجة الارتفاع بالمستوى الإنساني والارتقاء به وكشف غموض الأشياء أمامه ليزيد ذلك معرفته بالله.

2- المنتظر من العلم:

إن الغاية من تعلم العلم هو اتخاذ المعرفة مرشداً وهداياً للإنسان ولتنوير الطرق التي ترقى بالإنسان نحو كمال الإنسانية، وإن العلم يحتوي فروعاً عديدة، وكل فرع له فوائده للجميع.

ولكن بما أن عمر الإنسان قصير وقابليته محدودة، فلا يستطيع استيعاب جميع هذه العلوم. لذا كان على كل فرد أن يتعلم ما يفيد نفسه وأمته.

المستوى الرابع: المجتمع

وينقسم ذلك المستوى إلى المجتمع والقسم الثاني هو التفاعل المجتمعي.

1- المجتمع: إن المجتمع الصالح هو ذلك المجتمع الذي يستطيع الارتقاء بأفراده للقيام بالمهام الإصلاحية المنوطة

بهم، هو ذلك المجتمع الذي يعلي قيمة الفن الحقيقية والتي هي إظهاره للجمال، هو ذلك المجتمع الذي به أفراد لا يعانون من عدم فهم لوجودهم.

2- التفاعل الاجتماعي: ولكي يتكون مثل هذا المجتمع فلا بد من انتشار بعض القيم بين أفراد مثل الإنسانية

والضمير الحي والحرية والتسامح ووضوح أهداف ذلك المجتمع لأفراده.

المستوى الخامس: مستوى الحكومة

وينقسم ذلك المستوى إلى ثلاثة أقسام وهي السياسة والجمهورية والأمة.

1- السياسة: إن السياسة عند هؤلاء الذين يردون إصلاح الأمة فيجب عليهم إثارة أمور الأمة فوق كل شئ وفوق المصلحة الشخصية والتفرغ التام لإصلاح الأمة ويجب عليهم القيام بتنظيم فكر وفهم الأمة للأمر ويجب عليهم معرفة أن الدين مؤسس حيوي لإصلاح الأمة.

2-الجمهورية: إن الجمهورية تعني شكل الإدارة الذي يملك الشعب حق الاختيار والشورى وهذا الشكل أظهره القرآن، وإذا تم تطبيقها كما علمها رسول الله محمد صلي الله عليه وسلم فتستطيع تهيئة تربة صالحة للارتفاع بأفراد المجتمع وبقيمه الإنسانية العالية ليقوم بتنفيذ ذلك في خلال عمله وأسرته.

3- الأمة: أعلى الأمم قدراً هي الأمة التي تسير أمورها في ظل الوحدة والتآلف حيث تكون العلاقات بين أفرادها قوية كالعلاقات بين أفراد العائلة الواحدة، والتي تعطي أهمية لرأي شعبها. وهذا يتعلق بقيام أفراد هذه الأمة بتلقي التربية نفسها في الدين واللغة والتاريخ.

ثالثاً: القضايا الأجدر بالتناول:

إن القضية الأجدر بالتناول في كتاب لآلئ الحكمة هي قضية كيفية إصلاح الأمة الإسلامية لتكون قادرة علي إنتاج حضارة مستفاعة من الحضارة الإسلامية التي كانت موجودة في العصور الإسلامية ومن الحاضر لتقدم لغير المسلمين الإسلام الحق الذي ليس بدين يتعبد الفرد من خلاله دون إظهاره علي جميع تفاصيل حياته ولكن ليظهر كحضارة يقوم المسلمون بتطبيقه حتى يبنوا العالم.

وقد رأي الشيخ فتح الله كولن إن بداية إصلاح الأمة في إصلاح نواتها الأساسية وهي الفرد، ومع صلاح تلك النواة فذلك الفرد قادر علي إنتاج أسرة سعيدة صالحة تستطيع تربيته أطفالها علي القيم والأخلاق ليكونوا رجال ونساء قادرين علي إصلاح المجتمع، ذلك المجتمع الذي يديره أفراد صالحين للقيام بالنهضة بالسياسة وبالأمة.

إصلاح الفرد ← صلاح الأسرة ← صلاح المجتمع ← صلاح الأمة

الخاتمة:

وفي نهاية العرض يجب التأكيد علي بعض الملاحظات علي كتاب لآلئ الحكمة ومنها:

- إن لغة الكتاب اعتمدت النزعة الصوفية والتي جعلته اقرب إلى الأفراد وأسهل في التطبيق وإن كانت اتخذت طابع مثالي.
- إن التركيز علي إصلاح الفرد والبداية بإصلاح الروح جعلت الإصلاح مسئولية شخصية لكل فرد في الأمة الإسلامية وليست مسئولية من يديرون دول الأمة الإسلامية.
- إن المستويات الخمسة (الفرد - الأسرة - المجتمع - المعرفة - الحكومة) التي اتخذها الكاتب كمستويات للإصلاح جمعت كل ما يتعلق بشئون الأمة الإسلامية وما يجب علي أفرادها اتخاذه للقيام بالإصلاح.

الإصلاح ما بين التربية والسياسة قراءة في تجربة الأستاذ "محمد فتح الله جولن"

هبة السيد رمضان

عندما يذكر الأستاذ "محمد فتح الله جولن" تتراءى لمخيلة كاتبة السطور صفة المرابي صاحب المدرسة الفكرية والتربوية والخدمية بذات الوقت، التي أطلت علينا في عالمنا العربي لتعلمنا أن المدارس الفكرية لم تشيد لتضحى حبيسة أسوار الأذهان، بل إنها ما كانت لتؤسس إلا بهدف إرشاد الجوارح وإجابتها عن سؤال: ماذا تفعل؟ وكيف السبيل إلى هذا الفعل؟ بعد أن تكون قد أجابت كلاً من العقل والقلب عن تساؤلات أساسية على شاكلة من نحن؟ وماذا نحتاج؟ والإلام نهدف؟ على أن تكون الإجابة هكذا بصفة الجمع نظراً لكون المخاطب من قبل هذه المدرسة هي الأمة المسلمة الواقفة عند مفترق طرق، ومن بعدها - إن لم يكن بالتوازي معها - ذلك الإنسان الحائر الذي يريده الأستاذ "فتح الله جولن" وفق مؤلفاته أن يضحى "إنساناً جديداً" يشكل مجتمعا إنسانياً جديداً بواقع فكر منفتح وحركة إيجابية على مستوى المجتمع الإنساني ككل، من منطلق ومنظور حضاريين يأخذان في الاعتبار قول الله تعالى "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" فهذه المدرسة تقر بالتالي بدور حضاري إيجابي للأمة المسلمة تجاه نفسها وتجاه العالم على اختلاف حضاراته ومشاربه الدينية والفكرية والسلوكية بوجه عام..

وتحاول هذه الورقة إلقاء بقعة محدودة من الضوء على مداخل الإصلاح المجتمعي عند الأستاذ "محمد فتح الله جولن" على صعيد التربية والسياسة، والذي تتسم مدرسته الإصلاحية بمشاربها الفكرية والتربوية والخدمية بشمول للمخاطبين من جانبها والمستفيدين من خدماتها يتماشى مع مصدرى التشريع الرئيسيين في الإسلام [القرآن الكريم والسنة المطهرة] حيث ينطلق من العمق الإسلامى "يا أيها الذين آمنوا" مكملًا طريقه دون قصر أو توقف إلى "الإنسان" أينما وكيفما كان "يا أيها الناس".

إلى جانب استعراض الورقة لنظرة تأملية خاطفة على بعض من ملامح التجربة الإصلاحية لمدرسة الأستاذ "فتح الله جولن" والمتعددة لحدود المجتمع التركى -والذى يمثل منبع التجربة ومنشأ المدرسة الإصلاحية محل التناول، إلى حوالى مائة دولة حول العالم(1).

أولاً الإصلاح التربوى عند الأستاذ "فتح الله جولن":

-الاستناد الى ركيزة الاخلاص واليقين في التربية :

وهو مدخل تربوى قد تتجاوزه الأعين والأذان في كثير من الأحيان اذا ما عرض عليهما إلا انه مدخل له دلالاته وأهميته بصدد تحليل الدعائم التربوية التي تقوم عليها مدرسة الاستاذ "فتح الله جولن"، ولعله أحد العوامل المفسرة لنجاح هذه المدرسة وبذل أتباعها من الجهود والأموال بشكل يصعب تصوره بغير توافر هذين العمادين للاستناد اليهما في العمل، وهو ما يتضح في رسائل الاستاذ "فتح الله جولن" التربوية، والتي يمكن قراءة هذا المقطع بصدها من كتاب "فصول" المنشور على موقع الأستاذ "جولن" على شبكة الانترنت فيقول: "لو أن المرء طلب الإخلاص واليقين في اليوم مائة مرة فما هو من المكثرين. لكن كيف ينبغي أن يكون الطلب؟ دعاء قول أم دعاء فعل؟ أرى أن دعاء الفعل هو الأصل، لكنه لا يمنع من دعاء القول. أما الأفضل فدعاء قول يلازمه دعاء فعل. وإذا كان لنصيحتي مكانة عندكم، فنصيحتي الأولى والأخيرة هي أن تطلبوا مرضاة الله تعالى. فقد تنسون طلب الجنة في دعواتكم أو الاستجارة من النار، لكن حذار أن تنسوا طلب الإخلاص واليقين بإلحاح، لأن الأمر

لا يحتمل النسيان . إذا تلاشى الإخلاص وضاع اليقين لدى الفرد فقد تدحرج في فراغ مخيف، إذ أقواله لا تتجاوز حنجرته، وأفعاله لا تعبر عن أي معنى نبيل." (2)

–الأخذ بمبدأ " أن تصوير الباطل يفسد الأذهان ويضللها بدلا من أن يصلحها:

– أو بمعنى آخر اعتماد أسلوب تربوي من مدخل استنهاض ركائز الخير ونواذعه داخل النفس , والابتعاد قدر الامكان عما يصدم النفوس ويلوثها بتصوير المفاصد السلوكية , لاسيما ان كان ليس كل المتلقين يدركون او يمارسون المفاصد المشار اليها في مثل هذه الخطابات , وذلك كبديل عن التربية من مدخل تجسيد المفاصد وصدمة وعى المجتمع بما بغية التنفير منها , وهومنهج ثبت عدم تحقيق المرجومه من واقع تجربة وسائل اعلامنا العربية , والتي تناوله في كثير من الأحيان من منطلق ونية الإصلاح المجتمعي , وتوضح أن مبررها في ذلك بأن أولى خطوات حل مشكلاتنا المجتمعية هو الاعتراف بها, وأن الاعتراف بما يعنى تجسيدها ومواجهة المجتمع بما بغية الإصلاح , بينما يشير واقع التجربة إلى أن تسليط الضوء على الفظائع والذائل المجتمعية وتصويرها من خلال الاقلام أو المواد الإعلامية المرئية والمسموعة على اختلاف أنواعها قد ساهم اسهاما واضحا في نشرها بدلا من ان يحد منها .وهوما لعله يشير إلى إصابة منهج الأستاذ "جولن" المتجنب لهذه النقطة بصدد خطابه التثقيفي والتربوي وتجدر الإشارة إلى أن ما سبق

لا يعنى عدم لجوء الأستاذ "فتح الله جولن" في كتاباته التربوية إلى النقد ,فهو ينتقد ويعبر عن وجود مساوئ وسلبيات لكن لا يصورها ويجسدها بقلمه ,بمعنى آخر هو لم يستدع صفحات الاذهان لينقش عليها ما يستنفر اشمزازها من خطاياها وكبواتها وفظائعها على نحو يرسخا في هذه الأذهان , بل استدعاها ليرسم عليها بألوان جاذبة الجانب الايجابي فيها ... جانب الفطرة السليمة والارادة الخيرة والسامية سمو الروح ,ولعل الشاهد على ذلك ما يشير اليه قول الاستاذ "فتح الله جولن" في كتابه بعنوان " :النور الخالد:محمد صلى الله عليه وسلم مفخرة الإنسانية "عندما تطرق الى وصف الجاهلية السابقة على بعثة رسول الله "محمد" صلى الله عليه وسلم بأن قال : "ولا أريد هنا أن أعرض -ولو بشكل موجز- معالم هذا القبح في ذلك العهد لأنني لا أريد ان اعرض أمامكم -ولو لوقت قصير لوحة مقززة كما أن تصوير الباطل قد يفسد الأذهان ويضلها وأنا أرى أن هذا يشكل جريمة " (3)

–الإدراك بأن الإنسان الحائرلا يمكن أن يقود نهضة أو يساهم في إصلاح انساني ما :

وبالتالى فإن هذا ما يمكن أن يفسر تسلح الأستاذ "فتح الله جولن" بسلاح العلم والمعرفة من خلال قراءة الكتب بمختلف مشاربها سواء المتعلقة بالذات الحضارية الإسلامية أو بالحضارة الغربية ,بالتوازي مع قراءة الواقع المعيش ,وما خلفته- ولم تزل تخلفه- آثار العولمة ومن قبلها آثار الفكر المادى الغربى على المجتمعات المسلمة.وهو ما أهله لقيادة إصلاحا مجتمعيا ,عبر حدود المجتمع التركى الى مختلف بلدان العالم يمكن قراءة ما يشير الى هذه القناعة لديه من خلال مقدمة كتابه بعنوان "طرق الارشاد في الفكر والحياة"عندما يقول : "وعندما لا تدفعك مسؤوليات الدعوة لزيادة الإدراك، وفهم توجهات العالم الروحية والفكرية، واكتشاف اللغة التي يمكن من خلالها أن يفهمك فأنت عابث غير جاد، والعاثون من الدعاة يضرون ولا ينفعون ويؤخرون ولا يقدمون". (4)

و لعله المبدأ ذاته الذى جعل الاستاذ "جولن" يعمل ويسعى لنزع غمامة الحيرة من على أعين المتلقين لخطابه, ولاسيما أتباع مدرسته المنفذين لأهدافها الإصلاحية على الصعيدين الخدمى والتربوي ليتثنى لهم أن يكونوا مصلحين يتوافر فيهم العوى بالذات الحضارية ,وبالآخر الحضارى وواقعهم المعيش , وأيضاً تحليهم بزواية نظر لذلك كله بعين الاسلام , واستشعاره بروحه,وهو ما يمكن ان يُرى من خلال كتابات أقرب الى التأسيسية فى العقيدة والشريعة بشقيها [الكتاب والسنة المطهرة] ,وعلى هذا الأساس فإنه ليس من المستغرب ان نجد للاستاذ "جولن" كتابا بعنوان "أسئلة العصر

المخيرة "قد جمع بين دفتيه الوانا من الاسئلة حول قضايا متنوعة ومختلفة والتي ارتأها الاستاذ "جولن" مصدرا للحيرة وتحتاج الى توضيح الرؤية , من خلال تقديم اجابات واضحة عنها, ولعل الشاهد على هذا المدخل التربوي إشارة الاستاذ "فتح الله" في كتاب "أسئلة العصر المخيرة إلى أنه "إذا لم تبذل الأمة عناية خاصة في تعليم أفرادها ضرورات الإيمان ولم تظهر الحساسية اللازمة في هذا الأمر وتركت أفرادها في ظلام الجهل، فإن هؤلاء الأفراد يكونون قد دفعوا لتقبل كل إجحاء معروض عليهم". وهو يقول ايضا في مقطع اخر من الكتاب ذاته :

"... لذا كانت التعبئة العلمية والتربوية لنشر المعارف الصحيحة ضرورة فوق كل الضرورات الأخرى. أما عدم إيفاء مثل هذه الوظيفة المقدسة حقها من الاهتمام فسيؤدي إلى جروح غائرة لا يمكن اندماها في المجتمع. ولعل هذا هو أساس كثير من الآلام التي عانى منها المجتمع مدة سنوات طويلة، لأننا كنا محرومين من المرشدين الممتلئين بعشق التعليم الذين جمعوا بين العلم والروح وبين العقل والقلب وبرزوا وتعمقوا فيهما. لذا نأمل من هؤلاء المرشدين الحقيقيين التصدي لحمل هذه المهمة البشرية الأساسية وأن ينقذونا من هذه الآلام التي قاسينا منها طوال عصر. عند ذاك ستصل الأجيال في أفكارها ومشاعرها وخيالها إلى الاستقرار، وتتخلص من الانجراف في تيار الأفكار الخاطئة، ومن التذبذب - كرقاص الساعة - ذات اليمين وذات الشمال، وتكون لها مناعة..". (5)

وبالتالى أرى ان كتابات الأستاذ "جولن" التعليمية والتأسيسية والتثقيفية في ما يتعلق بالدين كعلم واجابات هذا الدين على اسئلة الواقع المعيش ورؤيته للتعامل مع تحدياته هو جانب معبر عن الوعي باهمية توافر المعرفة والعلم وزوال الحيرة عن الانسان المصلح الذى هوجزه من مدرسة اصلاحية تحمل نفساً حضارياً إسلامياً لا يمكن بنظر الاستاذ "جولن" ان تؤتي ثمارها الا بوعى اعضائها واسلامية المعرفة لديهم وشموليتها والتي يشير إليها ويؤكد عليها الأستاذ "جولن" كذلك في كتابه "ونحن نقيم صرح الروح".

— الربط ما بين الكفاءة في إدارة الأسرة والأهلية لإصلاح الأمة :

وهوما لعله يشير اليه الاستاذ "فتح الله جولن" في مقال له حين يقول: "والأمم التي جعلت أسرها بمثابة مدارس مباركة ومثمرة، وجعلت مدارسها بدفء البيوت تكون قد أنجزت أفضل حركاتها الإصلاحية، وأمنت سعادة وطمأنينة أجيالها القادمة... الأمة عبارة عن مجموع العائلات والأسر. لذا فالأمة التي تملك بيوتاً صالحة تكون صالحة، والتي تملك بيوتاً فاسدة تكون فاسدة. ويا ليت الذين يرومون صلاح الأمة يبدؤوا بإصلاح الأسر والبيوت قبل كل شيء آخر". (6)

بل يربط الأستاذ "جولن" ما بين رب البيت الناجح في ادارة بيته وبين قدرة هذا الرب على ادارة مؤسسات أكبر فجعل من إدارة البيت التي تعم نتائجها على أهل بيته، المختبر والعامل الدال على مدى قدرة المصلح على الإصلاح في إطار مؤسسى يعم على المجتمع والأمة الذين يخدمهما ويشير الى ذلك قوله: "البيت أمة صغيرة، والأمة بيت كبير. والشخص الذي ينجح في إدارة بيت - كبيراً كان أم صغيراً - إدارة صحيحة ويرتفع بأفراد ذلك البيت إلى المستوى الإنساني اللائق يستطيع ببذل جهد صغير القيام بإدارة مؤسسات أكبر إدارة ناجحة". (7)

تصدير نفسه لا كقدوة وإنما كمقتدى :

لعله مما يميز نصح الأستاذ "فتح الله جولن" الذى أسس عليه مدرسته الإصلاحية كونه قد تنازل عن مسألة تصدير ذاته أمام أعين المتلقين لخطابه كمؤسس لهذه المدرسة، واستبدل ذلك بأن أنكر ذاته ووضعها في خدمة التعريف برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فاذا ما حاكاه الآخرون فلن يكونوا الا مقتدين بشكل مباشر برسول الله صلى الله عليه

وسلم ,بمعنى آخر فإنه من واقع كتابات الأستاذ "جولن" فقد اختار هذا العالم والمفكر في الشأن الإسلامي وظيفة " صاحب القنديل "الذى سمح لأبصار المتلقين لرسائله التطلع الى ملامح شخصه صلى الله عليه وسلم وسيرته وعظيم خلقه واعماله ولو بقدر لم يدع الأستاذ "جولن" فيه الكمال ,فكأنما قد شهدوا بعثته صلى الله عليه وسلم في عصرهم الحالى من خلال مفكر مجدد ناقل لمنهج هذه البعثة وعارض لأحوال العصر عليها , ليجد فيها الأجوبة الشافية. فلم يعرض نفسه كنموذج لاي مسلم يعيش هذا العصر ,بل أشار من خلال إسهامه العلمى والفكرى إلى كون ان رسول الله "محمد" صلى الله عليه وسلم هو القدوة الباقية والصالحة للاقتداء في كل عصر بما أن ابتعائه صلى الله عليه وسلم قد عبر عن الرسالة الربانية الخاتمة إلى يوم القيامة .وهو ما قد يعبر عنه اهتمامه بتأصيل السيرة في نفوس المخاطبين والتي جمعت فيما بعد في مجلد حمل عنوان "النور الخالد... محمد صلى الله عليه وسلم مفخرة الانسانية" والذى يقول فيه "في صفحة 106 وبصدد ذكره لبعض الاحاديث النبوية التي تعبر عن نبؤات النبي صلى الله عليه وسلم لاسيما الخاصة بالعصر الحديث بما يثبت نبوته وصدقه صلى الله عليه وسلم ,فيختم كلامه في هذا الامر بقوله: " ليت شعري.. ألا يكفي هذا لكى نرجع ونجدد البيعة له؟" بما يوحى بتصدير شخصه صلى الله عليه وسلم في اطار اتباع واقتداء مباشر يعبر عنه هنا الاستاذ "جولن" بتعبير " تجديد البيعة" كما يعبر عن مسألة انكار الذات وتصدير شخص النبي صلى الله عليه وسلم كنموذج لاتباع مدرسته التربوية ,قوله في صفحة 50 من الكتاب ذاته قوله : "كنت قد وضعت نفسى منذ مدة طويلة موضع "قطمير" (8) وأسرى عن نفسى بهذا غير اننى بدأت أفقد هذا الامل بمرور الزمن... لذا فقد انحصرت كل رغبتى واملى فى ان اكون فردا من امته ذلك لاننى آمل الا يحرم الله فردا من امته من شفاعته" ".....أجل فقد عقدت نيتى على محاولة القيام بمعرفة هذه الذات السامية فما اسعدنى ان استطعت قدح شرارة واحدة من حبه فى قلب هذا الجيل"

وهو البعد الذى اخرج مدرسة الأستاذ "جولن" الاصلاحية من الصوفية الأكثر محدودية الى الأهمية الاوسع والارحب والقادرة على استيعاب واحتواء "لعنة التصنيفات" التى يرى الاستاذ "جولن" بانها عامل ممزق وشديد السلبية على الأمة المسلمة ,وهوما يتبين فى إشارته فى صفحة 101 من كتاب "النور الخالد... حين يقول": "أجل.. فمقابل خلافاتنا الفكرية والمزاجية التى مزقتنا شيعا واحزابا ,وحدت المنافع والمصالح الدنيوية اعداءنا وجعلتهم جهة واحدة ضدنا فغلبونا وأذلونا." ولا يوجد شخص يمكن أن تتوحد خلفه جميع أطراف الامة المسلمة دون حرج أو وقوع فى شرك تصنيف مستبعد لمن يغيره سوى رسول الإسلام" محمد" صلى الله عليه وسلم والذى يوصل بدوره مدرسة الاستاذ "جولن" الى نطاق اوسع هو "الانسانية" بغض النظر عن الجانب العقدى بحكم طبيعة الدور الحضارى للإسلام الجامع للأمة تحت لواء الرحمة التى تمثلت أول ما تمثلت فى هذه الأمة فى نبينا صلى الله عليه وسلم ورسالته التى أرسل "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين".

– التربية على روح الجماعة كبديل عن الفردية فى العمل أو التفرد وسط الآخرين:

وهو ما لعله يشير اليه قول الاستاذ "جولن" فى مقال له بعنوان "صورة قلمية لرجل القلب" حيث يصفه بأنه: " يبذل فى جميع ما يقوم به من فعاليات وما يبذل من جهود اهتماماً خاصاً لتوفيق الله تعالى وعنايته ورعايته. ويبحث على الدوام عن السبل التى توصله ليكون أهلاً لمثل هذه الرعاية والعناية. لذا فهو يبذل قصارى جهده للوحدة وللجماعة التى ذكر القرآن الكريم أنها وسيلة لجلب عناية الله. وهو يسارع لعمل مشترك مع كل من يمشی فى صراط مستقيم, بل كثيراً ما يسلك طريقاً رغم طبعه ونزعاته ضمن هذا الإطار من سياسة الوفاق التى ينتهجها, وهو يعلم أن

الرحمة في الترابط، وأنه لا يمكن تحقيق أي شيء بالخلاف والتفرق، لذا يحاول أن يجمع جهود كل من حوله ليكون قريباً من شأبيب رحمة الله وعنايته."

كما يقول عنه أيضاً في ذات المقال: "يبقى على الدوام محترماً أفكار الآخرين ومناهجهم موقراً لهم، ومستعداً للعيش المشترك معهم، ولا يفتر عن البحث عن طرق التعاون المشترك مع من يقاسمهم الفكر نفسه. يبحث عن طرق التعاون والمشاركة هذه ويطور معهم مشاريع العمل المشترك واضعاً كلمة "نحن" بدلاً عن "أنا"؛ بل يكون مستعداً للتضحية بسعادته برحابة صدر في سبيل إسعاد الآخرين دون أن ينتظر من أحد جزاءً ولا شكوراً، بل يعد مثل هذا الانتظار دناءة وسقوطاً يترفع عنه، لذا نراه يتعد عنه، ويهرب منه مثلما يهرب من العقارب والتعابين، ويهرب من الرغبة في الصيت والشهرة، ويحاول أن يكون منسياً." (9)

- الربط ما بين ارتباط الشباب بالجذور ووعيهم بدورهم في المستقبل وبين تهذيب الأهواء لديهم وهو ما لعله يشير إليه قول الأستاذ جولن: "حتى اللحظة التي نصل فيها بالتربية إلى نجدة الشاب نراه في المحيط الذي نشأ فيه يحوم بجنون حول الأهواء والشهوات بعيداً عن البصيرة وعن العلم والمنطق. ولكن إن أعطيت له تربية تربطه بجذوره وتهينه للمستقبل، انقلب إلى شاب يعكس شعور الأمة وفكرها ويمثلها." (9)

- التربية والاصلاح من مدخل يجمع ما بين المادى والمعنوى:

- حيث يلحظ من يقرأ مؤلفات الاستاذ "فتح الله جولن" اشتغالها على البشارة والاعراض الجامع ما بين المادى المشروع والمعنوى المرجو، أو بمعنى آخر التربية من مدخل اعطاء البدائل لمغريات التوجهات الاخرى التي يغلب عليها اغراءات المادة وتسويق اللذة من منطلق لا أخلاقي وافدٍ على المجتمعات المسلمة من جانب الحضارة الغربية معاملة القيم في الوقت الحالى، فنجد الاستاذ "جولن" في مدرسته التربوية يقارع الوعود المادية غير المشروعة القائمة على الاباحية والاغراق في المادة بصورة تتجاوز الاخلاق وتوجيهات الشريعة، بعود اخرى مادية تجمع ما بين الدين والدنيا وهى "وراثة الارض" والتي يبشر بها الاستاذ "جولن" استناداً لقول الله تعالى "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون" الأنبياء 105 "فيقول في مقالة تحمل اسم "وارثو الأرض" فى كتابه "نحن نقيم صرح الروح" والذين يوضح مقومات الموروثة عندهم بقوله: "لقد وعد الله بآرث الأرض للصالحين من عباده وهم ممثلو الروحية المحمدية والأخلاق القرآنية المنشغلون بالإتحاد والإجتماع المدركون لأحوال عصرهم، المسلحون بالعلم والفن، المقيمون لميزان الدنيا والعقبى. الحاصل هو وعد لعقبان الروح وللمعنى الذى يدورون به فى مدار نجوم السماء النبوية وسادتنا الصحابة الكرام، إنها سنة الله "فلن تجد لسنة الله تبديلاً و لن تجد لسنة الله تحويلاً" سنة ثابتة وشريعة فطرية لن تتغير." (10) وذلك بالتوازي مع خطاب يرغب و يحث على الزهد وعدم السعى من أجل الذات أوالجزاء الدنيوى من أجل هذه الذات فيعتبر الاستاذ "جولن" هذه الدنيا "دار خدمة" لا "دار جزاء" حيث يقول واصفاً من اسماء الاستاذ "جولن"

ب"رجل القلب" يعلم رجل القلب وهو يقوم بكل فعالياته وحركاته بأن هذه الدنيا ليست بدار جزاء، بل دار خدمة، لذا يؤدي ما عليه من مسؤوليات وخدمات ضمن نظام دقيق جداً، ويعد الانشغال بالنتيجة شيئاً ينافي التوقير لله تعالى. وهو يعدّ خدمته للدين وللإيمان وللإنسانية أكبر وظيفة له في طريق الحصول على رضا الله تعالى. ومهما أنجز من أعمال كبيرة فلا يجعل لنفسه أي نصيب مادى أو معنوي منها ولا يفكر في هذا أصلاً." (11) وهو ما يعبر عن منحنيين للخطاب يمكن التوفيق بينهما - بشكل اجتهادى - من منطلق أنه ربما يقصد الاستاذ "جولن" من ذلك السعى لوراثة

الارض من أجل تحقيق رسالة الاستخلاف وفق المنهج الرباني الذى تمثله رسالة الاسلام الخاتمة , فتكون الدنيا فى ايدى وارثى الارض ويحل محلها فى قلوبهم اشتهاى مرضاة الله واقامة منهاجه فى الارض فيستقيم سلوك الوارثين تبعاً لعقيدتهم القلبية تلك , و التى تدفعهم نحو مزيد من الخدمة لا الاكتفاء أو العلو على الآخرين أوالطمع فيما هو زائل بعد تحقق تلك الموروثة محل الذكر والاشارة بما ينشئ بدوره جوهر الاختلاف ما بين سلوك وارثو الارض بالوصف سالف الاشارة وبين من فى يدهم ميراثها فى غياب تلك العقيدة القلبية أو المنهج الكلى الذى يحكمها فى اطار ما أوضح الاستاذ "جولن" ما لهؤلاء "الوارثون" من صفات وشروط للتحلى بصفة الموروثة.

كما أنه على الصعيد الروحي يطالب الوالدين بالاهتمام بتربية ابنائهما تربية روحية وقلبية بالتوازن مع اهتمامهم باحتياجاتهم المادية فيقول "وعلى الوالدين الاهتمام بالجانب الروحي والقلبي للأبناء قدر اهتمامهما بجاهتهم المادية والجسمية. لذا عليهما تسليم الأبناء إلى من يستطيع تربيتهم التربية الروحية الصحيحة. لذا فما أكثر جهل الوالدين الذين ينسون الجانب الروحي والقلبي للأبناء، وما أتعس هؤلاء الأبناء الذين يذهبون ضحية جهل والديهم." (12)

كما أنه على صعيد الجانب الروحي أيضاً فإن الأستاذ "جولن" يبشر بالسمو الروحي المعنوى لمن سعى له , ولا يألى جهداً فى وصف جمال ولذة هذا الارتقاء الروحي عندما يتعلق القلب بخالقه , حتى انه يقارع الجمال الزائف الموعود به من المدرسة المادية اللا أخلاقية إلى جانب ذلك الأمر بتعمد جمال اسلوبه فى الكتابة وفى الكلام , فنجدته يخاطب الوجدان والروح بالمخاطب الروحاني ببعده الجمالى الدعوى , ويزينه لأرواح المخاطبين بأسلوب لغوى يتشخ بالجماليات , كما يخاطب النفس الطامحة فى المادة من خلال التبشير بورثة الأرض لمن استوفى شروط هذا الارث وهذا الوعد من الله سبحانه وتعالى.

- النظرة للفن كمدخل حضارى وتربوى وملح نضوى:

وهو ما يشير اليه غير قليل من اشارات الاستاذ "جولن" فى هذا الصدد والتي تعبر عن قناعة مفادها أن الفن -بضوابطه المتناغمة مع روح وأحكام الاسلام- هوسفير إصلاحى مثله مثل غيره من مقومات الحضارة وعناصر التربية والدعوة للقيم النبيلة والأفكار الهادفة بل ويعتبر الفن من بين أمانات مسؤولى العصر الذين تقع على عاتقهم مهمة الإصلاح من خلال رسالتهم للنهضة والإصلاح والتي يدخل فى حبات عقدها الفن كعنصر مساهم فى اكتمال ملامح ثمره الرسالة إلى جانب "العلم والأخلاق والحكمة" والذين رسموا جميعاً وتشكلت ملامحهم بريشة الإيمان , فيقول الاستاذ "جولن" مثالا لا حصراً ".....نحن نحسب أنفسنا مضطرين إلى التحرر عن غاية الحياة فى حياتنا , والتوصل إلى العشق فى أرواحنا , والوعى بشعور المسؤولية فى وجداننا , وإرشاد المستيقظين على منع نظام أساسه وأصوله الإيمان , ومصدر قوته العشق , ونوره العلم والفن والأخلاق والحكمة... فنحتسب أنفسنا عبيدا لهذه الرسالة عبودية لا اعتناق منها(13) وستكون بداية لنهضة عالمية ثانية , هذه الجهود التى نرجو انتشارها وتطورها..."(14)

ثانياً الإصلاح السياسى عند الاستاذ "فتح الله جولن":

-الإرتكاز إلى التربية كأساس للإصلاح السياسى وسابق عليه :

وهوما يعبر عنه إجابته المنشورة قبل عدة أشهر فى عدد من مجلة تصدر عن منظمة "الحوار اليورو آسيوى" والتي تحتوى فى صفحاتها على عدة مواد خاصة بالاستاذ "جولن" , "حين سأله أحد الاكاديميين الروس السؤال التالى : "ما مكانة أفكاركم يا شيخ بين أفكار قادة الإصلاح الإسلامى فى بداية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين , مثل الشيخ

"محمد عبده" وجمال الدين الأفغانى, وغيرهما؟ " فأجاب بأن: "الفارق الأساسى لا يعود إلى شخصيتى بالمقارنة مع شخصية الشيخ" محمد عبده", ولكن يعود إلى مواصفات العصر, وإذا كان قادة الإصلاح الإسلامى فى أواخر القرن التاسع عشر كانوا عند بداية الحركة التحريرية فى نيل الإستقلال الوطنى وكانوا يركزون على العمل السياسى.. فالعنصر السياسى كان مفتاح لكافة الإصلاحات أما أنا فأركز على روح وتربية, فقبل القيام بإصلاحات سياسية يجب أن نرى أنفسنا" (15)

-التنبية على الشورى كمدخل جوهرى فى الإصلاح السياسى

:وهوما يشير اليه قوله: فى كتاب "ونحن نقيم صرح الروح": "والقاعدة فى الاسلام كنظام ان الشورى من اهم القدرات الحركية لقيامه ودوامه. فهى اهم العناصر فى حل المسائل المتعلقة بالفرد والمجتمع والشعب والدولة والعلم والمعارف والاقتصاديات والاجتماعيات فيما لم يرد فيه نص صريح" (16)

- شرح وتحديد طبيعة علاقة المرشد أو الداعية برجال الدولة والاغنياء:

و هنا للامر شقين اولاهما يمكن قراءة خلفيته الفكرية فى إطار استناد الاستاذ "جولن" الى مبدأ التعامل مع فئة رجال الدولة والاغنياء بروح المستغنى الذى يقف على مسافة مناسبة لا تجعله من طالبى المال والقربى من اهل السلطة ويشير إلى ذلك قول الاستاذ "جولن" بأن "الرسول صلى الله عليه وسلم مرشد, والقرآن كتاب يعلمنا الأصول والموازين فى شخص أعظم مرشد على الإطلاق. وقاعدة من تلك القواعد هي طور الاستغناء عن الأغنياء والمسؤولين فى المجتمع وعدم الإعجاب بهم مع الاستمرار فى تبليغهم وإرشادهم". (17) و استطاع الأستاذ "جولن" هنا ان ينشئ علاقة متزنة "تقتصر على القيام بدور الارشاد دون طلب المقابل أو ما يقدم فى رسالة المرشد ونزاهتها, فيقول فى هذا الصدد: "المبلِّغ والمرشد، لا يكون ذا علاقة وطيدة مع رجال الدولة والطبقة العليا من الناس خارج ضرورة الإرشاد والتبليغ" مستندا فى ذلك الى الحديث النبوى الشريف: ". شرار أمتي العلماء الذين يأتون الأمراء، وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء" (18)

والشق الثانى فى إطار مفهومه للعلاقة مع رجالات الدولة وساستها هو تجنب الأستاذ "جولن" لفكرة طلب السلطة والسعى لان يصبح من رجالات الدولة, بل استطاع الأستاذ "جولن" هنا ان ينشئ علاقة تقوم على التكامل من خلال ما سبق شرحه فى علاقة المرشد بالسياسة لا التنافس معهم على النفوذ والموقع, فينقل الدكتور "سكيانان ليونيد رودولفوفيتش" على لسان الاستاذ "جولن" قوله: "أنا أهرب من النشاط السياسى عمداً هذا هو خيارى, أنا أركز على الروح والتعليم والثقافة والحوار ولا أدعى أن أكون رجلاً للسياسة" (19)

-دعم الاجبايات بغض النظر عن الخلفية السياسية لصاحبها والنقد الهادى مع عرض البدائل والحلول:

وهو ما يمكن التدليل عليه من خلال ما أفاد به الدكتور "نوزاد صواش" المشرف العام على مجلة حراء التركية والتي تعد إحدى المنجزات الخدمية لمدرسة الأستاذ "فتح الله جولن" على الصعيد الثقافى والمعرفى حين يقول: " بالنسبة للسياسة فإن من واقع ما شهدته عبر التجربة فإنه مهما كان اسم الحكومة سواءً كانت حكومة حزب "العدالة والتنمية" أو " حزب الرفاه "

أو "حزب اليسار" فإن موقف الأستاذ كان دائماً إذا عملت شيئاً إيجابياً فإن موقفه هو الدعم لها ولا يهم الاسم, أحياناً المخالف قد يصنع شيئاً جيداً وهذا يحتاج إلى تأييد, لكن إذا فعل شيئاً غير صحيح, هنالك نطرح له البديل, لا ننتقد فقط ونهدم, بل نطرح البديل(20), ولعل المثال على ذلك النقد مع طرح الحلول عند الأستاذ "جولن" يمكن تلمسه فى كتابه "ونحن نقيم صرح الروح" عندما يقول: "إن هيئة شورى الدولة فى الإسلام تتقدم على السلطة التنفيذية وترشدها

وهيئة الشورى في الدولة التركبية اليوم تعد محدودة في الوظيفة وضيقة المساحة في الحركة ومقيدة قياسا بالشورى في الاسلام" حيث يشير إلى الأخيرة من باب طرح الحلول في الفقرة ذاتها التي حملت نقدا اتسم بالهدوء وعدم الفظاظة.

-ثالثا ملاحظات بصدد مدرسة الاستاذ جولن الاصلاحية:

-التحرر من فكرة وجوب أن يكون حامل راية المبادرة والاصلاح في العالم الاسلامي "عربياً" والشعور بمسئولية الاصلاح بمعزل عن قضية العرق التي حيدها الاسلام في الكرامة والتركية ورفع الدرجات عند الله سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" وقوله تعالى "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى" وهو ما لعله كان السبب وراء الاعاقة النفسية والمعتقدية والتي شكلت حائلا وقيدا دون حمل راية المبادرة الاصلاحية على الصعيد الأسمى عند العديد من التجارب الاصلاحية في العالم الاسلامي غير العربي, والذين يعتقدون أصحابها بان المسئولية عن الاسلام وحمل راية الدفاع عنه والاصلاح الانساني من منظوره لا يمكن الا ان تكون "عربية". وهو ما لعله قد ادركه كل من حضر محاضرات دورة التثقيف الحضاري التي اقامها مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات لعام 2009 والمنشورة على موقع إذاعة اسلام اون لاين على شبكة الانترنت, والتي تناولت مناقشة هذه الروح -المنتفية عند الاستاذ "جولن" -والذي تشير تجربته من خلال مدرسته بشقيها النظري والعملي الى ان الكل مسئولاً عن الاسلام والكل له الحق وعليه الواجب للزود عنه والاصلاح من منظوره عندما يقول: في كتابه "فصول, المنشور على موقعه الرسمي على شبكة الانترنت: "الهم الذي يسلبنا النوم ويقض مضجعنا ويتركنا مؤرقين عدة أيام في الأسبوع ونحن نسعي جاهدين نغرس حقائق الإيمان والقرآن في القلوب ونتطلع إلى أن يستجيب لها ضمير المجتمع الإنساني. وإذ لم نأرق بمثل هذا الهم اليوم، فسوف تنهمر علينا مهمات تحرمنا النوم غدا. والحق أقول؛ يكاد المرء يتفطر أسفا حينما لا يرى من يتفطر هما." (21) فالفتة المخاطبة هنا من منظور حضاري اسلامي هي المجتمع الانساني, والمخاطب مُصلح مسلم غير عربي.

-عدم ربط منجزه بشخصه:

فإذا ما ذهب الشخص ذهب تجربته وحل الفراغ مكانه, وذلك من خلال عمله وسعيه في اتجاه تكرار تجربته من حيث أسسها التي ارتككت اليها واتاحة ذلك للآخرين في أي وقت, ولعل ما قد يشير إلى ذلك من واقع كتاباته كتابه بعنوان "طرق الارشاد في الفكر والحياة" والذي من يقرأ عناوين المقالات التي تشكل قوامه يعرف ويوقن تماما أن الاستاذ "جولن" يقدم فيه الدليل الذي يمكن ان يستعمله غيره لكي يكرر تجربته الاصلاحية كمرشد ومبلغ شاملة مختلف الجوانب الفكرية والاخلاقية والروحية للقيام بمثل ذلك, الى جانب بعض مؤلفاته الاخرى التي تسلط الضوء على فلسفته ومنهجه كمصلح ومؤسس مدرسة إصلاحية تحمل صبغة حضارية إسلامية معاصرة.

-أتباع مدرسة الأستاذ "جولن" وتفعيل الفكر:

إنه ونحن بصدد ذكر أعمال الاستاذ "فتح الله جولن" فلا بد من القاء بقعة ضوء مناسبة على اتباع مدرسة الاستاذ "فتح الله" وشركاؤه في الاصلاح الذين ما كان ليكتمل البناء اوان يرتفع عن مستوى الارض بهذا الشكل الراقي الجامع ما بين القول والفعل.. الفكر والحركة.. النظرية والتطبيق.. المادة والروح لم يكن ممكنا بدون هؤلاء الشركاء واسهاماتهم. وهنا يأتي الحديث عن ادوات الاصلاح عند الأستاذ "جولن" والتي قد يفتقر اليها غيره من المفكرين والعلماء الا ما ندر والتي تتمثل في بنية العلاقات الفعالة واللازمة لتفعيل الاصلاح وارتقاؤه الى المؤسسة الفاعلة القابلة للاستمرار والانتشار. فشبكة العلاقات لدى الاستاذ "جولن" تجمع على ما يبدو ما بين رجل الاعمال والتاجر, وبين الخبير والتقني والمعلم التربوي والشاب المتقد حماسا والمستعد للخدمة في سبيل اصلاح مجتمعه أينما وضع وحيثما وجه, والسياسي

الذى تأكد له مع مرور الزمن ان هذا الرجل لا يريد جاها ينازعه عليه او كرسيا يحتفظه منه او البروز في خانة المعارض المزعج للسلاسة أو المشكل لاي تهديد لهم او خطر عليهم حتى وان لم يتطابق فكر هذا السياسى مع فكر هذه المدرسة.والتي كل من اتباعها يعرف له دورا في اطار خدمة تجربة اصلاحية نجحت في الوصول الى العالمية من خلال خدمة تتبنى منحى المؤسسة التي تضم بين جنباتها جنودا أغلبهم مجهولون ,قد نذروا طاقاتهم ومواردهم لنشر فكر مؤسس المدرسة ,التي يؤسس فيها الجانب الفكرى للجانب التربوى ثم ينطلقا معا في ذهنية وروحية أشخاص يتحركون بها تربويا وخدميا ما بين القارات الخمس.
الهوامش:

- (1) د. سمير بودينار ,الجلسة الثالثة لليوم الثاني من مؤتمر دولى بعنوان : "خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية", جامعة الدول العربية, القاهرة , من 19 إلى 21 أكتوبر 2009.
- (2) أ. محمد فتح الله كولن, فصول , على الرابط: <http://ar.fgulen.com/content/view/709/121/>
- (3) أ. محمد فتح الله جولن, النور الخالد: محمد صلى الله عليه وسلم مفخرة الإنسانية, ترجمة أ. أورخان محمد على, دار النيل للطباعة والنشر, الطبعة الأولى, 1428-2007, ص 25.
- (4) أ. محمد فتح الله جولن, طرق الإرشاد في الفكر والحياة, ترجمة أ. إحسان قاسم الصالحى , دار النيل للطباعة والنشر, الطبعة الرابعة, 1428-2008, ص 6 [نسخة إلكترونية]. على الرابط: <http://ar.fgulen.com/content/view/707/121/>
- (5) أ. محمد فتح الله كولن, على الرابط: <http://ar.fgulen.com/content/view/384/117/>
- (6) أ. محمد فتح الله كولن, الزواج وعش الزوجية, على الرابط: <http://ar.fgulen.com/content/view/218/74/>
- (7) المرجع سابق الذكر.
- (8) هو اسم كلب اهل الكهف ,راجع في ذلك ما ذكره المترجم في الهامش ص 15 من كتاب النور الخالد: محمد صلى الله عليه وسلم مفخرة الإنسانية, مرجع سبق ذكره. وهو ما يعكس درجة إنكار الذات التي بلغها في خطابه .(9) أ. محمد فتح الله كولن , صورة قلمية لرجل القلب على الرابط: http://www.hiramagazine.com/archives_show.php?ID=281&ISSUE=14
- (10) أ. محمد فتح الله كولن, الشاب , على الرابط: <http://ar.fgulen.com/content/view/279/74/>
- (11) أ. محمد فتح الله كولن, ونحن نقيم صرح الروح, ترجمة أ. عوني عمر لطفى أوغلو, دار النيل للطباعة والنشر, الطبعة الثالثة, 1430-2009, ص 13: 14.
- (12) أ. محمد فتح الله كولن, حقوق الوالدين, على الرابط: <http://ar.fgulen.com/content/view/289/74/>
- (13) يعنى عبودية رق ليس عبودية دينية [الباحثة]
- (14) أ. محمد فتح الله كولن, ونحن نقيم صرح الروح, مرجع سبق ذكره, ص 93: 94.

- (15) د. سكيانان ليونيد رودولفوفيتش, الجلسة الثالثة لليوم الثاني من مؤتمر دولى بعنوان: "مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي, مرجع سبق ذكره.
- (16) أ. محمد فتح الله كولن, ونحن نقيم صرح الروح, مرجع سبق ذكره, ص 46.
- (17) أ. محمد فتح الله كولن, طرق الإرشاد في الفكر والحياة, مرجع سبق ذكره, ص 146.
- (18) المرجع السابق, ص 144.
- (19) الدكتور "سكيانان ليونيد رودولفوفيتش, مرجع سبق ذكره.
- (20) د. نوزاد صواش, الجلسة الثانية لليوم الثاني من مؤتمر دولى بعنوان: "مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي" خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية", مرجع سبق ذكره.
- (21) أ. محمد فتح الله كولن, على الرابط:
- [/ http://ar.fgulen.com/content/view/707/121](http://ar.fgulen.com/content/view/707/121)